

في التفسير الموضوعي (٢)

# منهجية القرآن الكريم في التعامل مع الآخر

وأثرها في الشهود الحضاري للامة المسلمة

رؤية قرآنية



دار البشير  
للثقافة والعلوم

د. رمضان خميس  
كلية الشريعة جامعة قطر



# منهجية القرآن الكريم ففيه التعامل مع الآخر

وأثرها في الشهود الحضاريين للأمة المسلمة

الطبعة الأولى

1443هـ

2022 م

اسم الكتاب: منهجية القرآن الكريم

التأليف: د. رمضان خميس

موضوع الكتاب: إسلامي

عدد الصفحات: 44 صفحة

عدد الملازم: 2.75 ملازم

مقاس الكتاب: 14x20

عدد الطبعات: الطبعة الأولى

رقم الإيداع: 2021 / 27075

التقييم الدولي: 978 - 977 - 278 - 921 - 4



يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع، والتصوير، والنقل، والترجمة، والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي، وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من الدار.

إدارة التسويق والثقافة والعلوم



elbasheer.marketing@gmail.com



elbasheernashr@gmail.com

01152806533 - 01012355714

# منهجية القرآن الكريم في التعامل مع الآخر

وأثرها في الشهود الحضاري للأمة المسلمة

## رؤية قرآنية

بقلم

د. رمضان خميس

كلية الشريعة - جامعة قطر

دار الشيخ  
للثقافة والعلم



هَدَاءَ





## مَقْرَأَتُنَا

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد ﷺ وآله وصحبه  
ومن والاه، وبعد،،،

فمنهجية القرآن الكريم في التعامل مع الآخر من الأمور اللافتة  
التي توجب النظر والتأمل خاصة في ظل تهمة غير المسلمين لهم في هذه  
الأعصار أنهم سبب التفسخ الإنساني والعنف البشري، على خلاف  
واقع منهجيات القرآن الكريم؛ لذا كان البحث في تأسيس هذه المنهجية  
وإبرازها والنقطة بها من التأصيل إلى التنزيل، ومن الوعي إلى السعي،  
ومن الإدراك إلى الحراك مهمة تستحق التوفر.

وقد غني القرآن الكريم غنى ظاهر بالجوانب الإنسانية المشتركة  
التي يمكن البناء عليها والعمل بها في عالمنا المعاصر.

أولاً أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تبدو أهمية الموضوع من خلال النقاط الآتية:

- ١- تقديم صورة حقة للتعامل القرآن الكريم مع غير المسلمين، مبنية  
على التتبع والرصد الذي ينتج منهجية متكاملة.
- ٢- واقع العالم اليوم الذي غابت عنه صورة النظرة القرآنية الصادقة  
للإنسان كل الإنسان، والرغبة في تقديم هذه الصورة المشرقة  
لنظرة القرآن إلى الآخر.

٣- بيان أثر تطبيق منهجية القرآن وبنائه على المشترك الإنساني في الشهود الحضاري للأمم المسلمة.

### أسباب الدراسة

ولدراسة هذه القضية أسباب دفعتني إليها، منها:

١- تأكيد أن المرجعية العليا للمسلمين في تصوراتهم ومنطلقاتهم، ومعاشهم، ومعادهم، هي القرآن الكريم، يفيدون منه حكمه في كل قضية، وفصله في كل مسألة.

٢- أثر غياب هذه المرجعية من أذهان بعض المسلمين في الهزيمة النفسية، والتراجع الفكري، وبدئهم من الصفر، دون الإفادة من عطاء القرآن وهديه مما يوفر عليهم تجارب بشرية ثبت فشلها حتى عند أصحابها.

٣- حاجة لبشرية إلى التعرف الواعي على الإسلام ومنهجيات القرآن خاصة في القواسم المشتركة.

ثانيا مشكلة البحث:

تدور مشكلة البحث حول بيان منهجية القرآن الكريم في التعامل مع الآخر وما يترتب على ذلك من صلاح للبشرية وشهود للأمم المسلمة.

### ثالثاً أسئلة البحث:

السؤال الأساس لهذه الدراسة هو: هل عني القرآن الكريم بالتعامل مع غير المسلمين في عرض دعوته، أو في العيش الإنساني المشترك؟ وما هذه المنهجية التي اتبعها؟ وما أثر ذلك على البشرية وعلى المسلمين من حيث الشهود الحضاري؟.

### رابعاً أهداف الدراسة:

يمكن حصر أهداف الدراسة من خلال الإجابة على الأسئلة السابقة

### خامساً: حدود الدراسة:

تقتصر الدراسة على حصر الآيات التي تتناول كيفية التعامل مع الآخر فكراً أو عقيدة أو موقفاً، وتمضي على المنهج الموضوعي الوسيط، الذي يسعى إلى حصر الآيات الجامعة للصورة القرآنية الشاملة عن توصيف وتوظيف القصد القرآني في إنهاض الأمة والاستعانة على فهم ذلك بالتفاسير المعتمدة، والعلوم الإنسانية المتاحة، حسب الطاقة البشرية.

### سادساً: منهج البحث وأداته:

يستخدم الباحث المنهج الاستقرائي والاستنباطي، حسب طبيعة التناول، وكانت أدواته جمع الآيات ذات الصلة بالموضوع، وتحليلها، واستنباط معالم الفكرة وملاحظتها؛ اعتماداً على ما كتبه علماء التفسير واللغة، وما يدعم ذلك من ومضات السنة النبوية المطهرة، وما يخدم

هدف البحث من الدراسات الإنسانية، دون الإفراط في الشروح؛ حرصاً على عدم خروج البحث عن مساره.

وحرصت على جمع الآيات المتعلقة بالموضوع، ثم فرزها من حيث أجمعها للقضية، ورتبتها من حيث المكينة والمدنية، حتى تعطي صورة كاملة عن القضية - والزمن جزء من رسم تلك الصورة الصادقة، وتنزيلها على الأحداث المدروسة قدر طاقتي، وحرصت على أن تكون العناصر المعنونة من صميم الآيات القرآنية؛ جرياً على المعتمد من المناهج في هذا اللون من ألوان التفسير الموضوعي<sup>(١)</sup>، أما في الشرح والاستنباط، فأفدت من كتب التفسير في كل المدارس من مآثور ورأي، فمررت على مدارس متعددة وألوان متباينة، زماناً، ومكاناً، واتجاهاً، ومنهاجا، وفكراً، كما أفدت من السنة، وهي الشارح المبين والمبين لآيات القرآن الكريم، وأفدت مما قدمه الجهد البشري من دراسات إنسانية أو عربية في هذا الصدد، حسب الطاقة والوسع، وحسب طبيعة الدراسة.

كما حرصت على:

- ١- عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها من المصحف الشريف.
- ٢- تخريج الأحاديث من مظانها الحديثية.
- ٣- توثيق الأقوال والآثار بإرجاعها إلى مصادرها الأصلية.

(١) انظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي، لأستاذنا د عبد الستار فتح الله سعيد ط: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط: الثانية، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، ص ٥٩، ٦٠.

وأتصور أن تكون الدراسة في النقاط الآتية:

المقدمة : وفيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره

المبحث الأول: ملامح منهجية القرآن الكريم في التعامل مع الآخر

المبحث الثاني: أثر منهجية القرآن الكريم في التعامل مع الآخر على

الشهود الحضاري والعمران.

الخاتمة

أهم المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

والله وحده خير مسؤول ومأمول

\*\*\*



## المبحث الأول

### ملامح منهجية القرآن الكريم في التعامل مع الآخر

التأمل لمنهجيات القرآن الكريم والمتدبر لآياته يجد بوضوح أن له منهجياتٍ مطردةً، لها ملامح واضحة في التعامل مع كثير من المشكلات، بل في كثير من القضايا، وقد يرى القارئ أن موقف القرآن من القضايا موقف عابر، أو حديثه حديث خاطف، لكنه عندما يتأمل تدبرا ويقف معه متأملا يدرك أنها منهجيات ثابتة، ومعالم راسخة، وبالتتبع والرصد يتأكد الباحث والدارس من ثبات هذه المنهجيات واطرادها، ومن تلك المنهجيات: منهجية القرآن الكريم في التعامل مع الآخر بغض النظر عن: مَنْ يكون هذا الآخر سواء كان من المخالف في العقيدة أو في التعامل أو في الموقف أو الموقع، وبدت منهجيته مطردة ثابتة شأن القرآن الكريم في منهجياته، أذكر هذا من موقع عملي وميداني ملموس؛ فلقد عُنت برصد عدد من منهجيات القرآن الكريم سواء في بحوث خاصة بي، أو في إشرافي على رسائل الماجستير؛ فقد كتبت حول: منهجية القرآن الكريم في التعامل مع المنافقين، ومنهجية القرآن الكريم في غرس قيم الجمال في الإنسان، والاستبداد السياسي والإرهاب إشكالية العلاقة ومنهجية العلاج، وكلها بحوث لمؤتمرات علمية محكمة، أو في إشرافي على بعضها

مثل: المنهاج القرآني في مواجهة الفساد المالي، والمنهاج القرآني في البناء الأخلاقي للإنسان وتطبيقاته على رواد مراكز التحفيظ في دولة قطر، وثلاثتها رسائل ماجستير، أشرفت عليها في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة قطر وبان لي من تتبع الراصد والنظر الراقب لملاحم منهجيات القرآن ثبات تلك المنهجيات في كل قضية على حدة، وهذا ما دعاني للكتابة في هذه الزاوية من زوايا المنهجيات.

### بين يدي المنهجية

وقبل الحديث عن ملاحم تلك المنهجية أرى من الضروري بيان بعض النقاط التي سيترتب عليها ظهور ملاحم تلك المنهجية ومن هذه النقاط ما يأتي:

#### ١- نظرة القرآن الكريم إلى الآخر

جاء القرآن الكريم والكون مشحون بثقافات متباينة، وأفكار متعددة، وكل يعتقد صحة ما لديه، ويحرص على بقاءه ورواجه، بل يدعي أنه الأصح ديناً، والأعلى يقيناً، وكما قال القرآن الكريم: ﴿...كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، [الروم: ٣٢].

وكان واضحاً منذ بداية نزول القرآن الكريم أنه يعترف بوجود الآخر، ويسعى إلى التعامل معه ليس على مستوى الأشخاص فحسب، بل على مستوى الواقع كل الواقع، فمثلاً جاء القرآن والرق ضارباً أطنابه وغارس أوتاده، والحياة العربية مليئة به قائمة عليه، فلم يتنكر القرآن الكريم لهذا الواقع بل سعى إلى إحسان توظيفه، وأول



هذا التوظيف: إحسان التعامل معه؛ فنرى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقتَلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانِ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾، [النساء: ٩٢].

قال ابن أبي عادل الحنبلي: (والكفارة تكون بإعتاق رقبة مؤمنة سواء كان المقتول مسلماً أو معاهداً، رجلاً أو امرأة، حراً كان أو عبداً، وتكون في مال القاتل)<sup>(١)</sup>

فالتعامل هنا مبني على نظرة سليمة صحيحة إلى الآخر بغض النظر عن موقعه أو موقفه، رجلاً كان أو امرأة، مسلماً كان أم ذمياً، حراً كان أم عبداً؛ لأنه في الغاية: إنسان.

ومن روائع الزمخشري هنا بيانه للحكمة في التعبير بالإعتاق بقوله: (لما أخرج نفساً مؤمنة عن جملة الأحياء لزمه أن يدخل نفساً مثلها في جملة الأحرار، لأن إطلاقها من قيد الرق كإحيائها؛ من قبل أن الرقيق ممنوع من تصرف الأحرار)<sup>(٢)</sup>

(١) اللباب في علوم الكتاب: ٦ / ٥٦٨.

(٢) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (١ / ٥٤٩).

كما تعامل القرآن الكريم مع شربهم للخمر وتدرج في تحريمه في مراحل المعروفة؛ فمن أول ما نزل في الخمر قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، [النحل: ٦٧].

ثم نزل قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٣١١﴾﴾

ثم قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾

ثم قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَبِئُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩١].

لقد امتن الله على الناس بأن اتخذوا سكرًا من الثمرات التي خلقها لهم، ثم إن الله لم يهمل رحمته بالناس حتى في حملهم على مصالحتهم

فجاءهم في ذلك بالتدرج، فقيل: إن آية سورة البقرة هذه هي أول آية آذنت بما في الخمر من علة التحريم،..، فيكون وصفها بما فيها من الإثم والمنفعة تنبيهاً لهم، إذ كانوا لا يذكرون إلا محاسنها فيكون تهيئة لهم إلى ما سيرد من التحريم، قال البغوي: إنه لما نزلت هذه الآية، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تقدم في تحريم الخمر» أي ابتداءً يهيم تحريمها يقال: تقدمت إليك في كذا أي عرضت عليك، وفي «تفسير ابن كثير»: «أنها ممهدة لتحريم الخمر على البتات ولم تكن مصرحة بل معرضة أي معرضة بالكف عن شربها تنزهاً. وجهور المفسرين على أن هذه الآية نزلت قبل آية سورة النساء وقبل آية سورة المائدة، وهذا رأى عمر بن الخطاب كما روى أبو داود، وروي أيضاً عن ابن عباس أنه رأى أن آية المائدة نسخت ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣]، ونسخت آية يسئلونك عن الخمر والميسر، ونسب لابن عمر والشعبي ومجاهد وقتادة والربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زين بن أسلم.

وذهب بعض المفسرين إلى أن آية البقرة هذه ثبت بها تحريم الخمر فتكون هذه الآية عندهم نازلة بعد آية سورة النساء يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى وإذ كانت سورة البقرة قد نزلت قبل سورة النساء وسورة المائدة، فيجيء على قول هؤلاء أن هذه الآية نزلت بعد نزول سورة البقرة وأنها وضعت هنا إلحاقاً بالقضايا التي حكى سؤلهم عنها. وأن معنى فيها إثم كبير في تعاطيها بشرب أحدهما

واللعب بالآخر ذنب عظيم، وهذا هو الأظهر من الآية إذ وصف الإثم فيها بوصف كبير فلا تكون آية سورة العقود إلا مؤكدة للتحريم ونصا عليه لأن ما في آيتنا هذه من ذكر المنافع ما قد يتأوله المتأولون بالعدر في شربها<sup>(١)</sup>

وتلك طريقة القرآن الكريم ومنهجيته في المعالجة للواقع الذي يتعامل معه ولا يغمض عينيه عنه، (فماذا صنع المنهج الرباني لمقاومة هذه الظاهرة المتغلغلة؟ ماذا صنع لمكافحة هذه الآفة، التي لا يقوم معها مجتمع جاد صالح مستقيم واع أبدا؟ ماذا صنع ليقف في وجه عادة أصيلة قديمة، تتعلق بها تقاليد اجتماعية كما تتعلق بها مصالح اقتصادية؟ لقد عالج المنهج الرباني هذا كله بوضع آيات من القرآن وعلى مراحل، وفي رفق وتؤدة. وكسب المعركة.

دون حرب. ودون تضحيات. ودون إراقة دماء.. والذي أريق فقط هو دنان الخمر وزقاقها وجرعات منها كانت في أفواه الشاربين - حين سمعوا آية التحريم - فمجوها من أفواههم. ولم يبلعوها. كما سيجيء! في مكة - حيث لم يكن للإسلام دولة ولا سلطان.. إلا سلطان القرآن - وردت في القرآن المكي تلميحاً سريعة إلى نظرة الإسلام للخمر. تدرك من ثنايا العبارة. وهي مجرد إشارة: جاء في سورة النحل: «ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقا حسناً».. فوضع «السكر»

(١) التحرير والتنوير (٢/ ٣٤٠).

وهو الشراب المسكر الذي كانوا يتخذونه من ثمرات النخيل والأعناب، في مقابل الرزق الحسن! ملمحا بهذا التقابل إلى أن السكر شيء. والرزق «الحسن» شيء آخر.. وكانت مجرد لمسة من بعيد للضمير المسلم الوليد! ولكن عادة الشراب، أو تقليد الشراب - بمعنى أدق - فقد كان أعمق من عادة فردية. كان تقليدا اجتماعيا، له جذور اقتصادية.. كان أعمق من أن تؤثر فيه هذه اللمسة السريعة البعيدة..

وفي المدينة حيث قامت للإسلام دولة وكان له سلطان.. لم يلجأ إلى تحريم الخمر بقوة الدولة وسيف السلطان. إنما كان أولا سلطان القرآن.. وبدأ المنهج عمله في رفق وفي يسر، وفي خبرة بالنفس البشرية، والأوضاع الاجتماعية.. بدأ المنهج عمله في رفق وفي يسر، وفي خبرة بالنفس البشرية، والأوضاع الاجتماعية.. بدأ بأية البقرة ردا على أسئلة تدل على فجر اليقظة في الضمير المسلم ضد الخمر والميسر: «يستلونك عن الخمر والميسر. قل: فيهما إثم كبير، ومنافع للناس.. وإثمهما أكبر من نفعهما..»<sup>(١)</sup>

وهنا يبدو تعامل القرآن الكريم مع هذا الواقع الذي شمل الرق والعبودية، وشرب الخمر على أساس أن التعامل معه بمنهجية واضحة خطوة على طريق إصلاحه.

وهكذا تعامل القرآن الكريم مع واقع معيش فاعترف بوجوده وسعى على بيئة إلى تغييره.

(١) في ظلال القرآن: (٢ / ٦٦٥)

## ٢- خطابات القرآن الكريم

المتأمل للخطاب القرآني على طول القرآن الكريم وعرضه يجد تنوعا وتناسقا بديعا، يتجاوز الأشخاص والمواقف فنجد الخطابات: (يا أيها الناس، يا أيها الذين آمنوا، يا أهل الكتاب، يا أيها الإنسان، يا أيها الكافرون، يا أيها النبي، يا أيها الرسول، يا أيها الملاء، يا نساء النبي، يا أيها الذين هادوا، يا أيها الذين كفروا).

وهذا تنوعت خطابات القرآن الكريم لتشمل المسلم وأهل الكتاب والكافر، وتنوع للتعامل مع الإنسان كل الإنسان، بغض النظر عن دينه أو عقيدته، وفي ذلك من سعة التعامل مع الآخر ما فيه.

## ٣- حرص القرآن الكريم على تبيان قضاياها لغير المسلمين

نجد هذا واضحا جليا في عرض القرآن الكريم لقضايا التوحيد والعقيدة ومباحث الإيمان في صور متعددة وبأساليب متنوعة، وحرص القرآن الكريم على الإقناع والبرهنة، بلفت النظر إلى السماء وما فيها والأرض وما عليها.

ومن هنا كثرت الاستدلالات في القرآن الكريم وكثرت الأوامر الداعية إلى السير والنظر والتأمل والتفكير في آثار الله تعالى وآلائه.

## ٤- أدلة القرآن الكريم الإقناعية وأثرها في قناعة الآخر

أما أدلة القرآن الكريم الإقناعية فتنوعت وتعددت؛ حرصا على التلاقي بينه وبين الآخر، وكسبا له، وسعيا إلى إنزاله إلى البدهيات

العقلية والمسلمات المنطقية التي لا ينكرها العقل السوي والفكر الصفي فلفت النظر إلى السماء وما حوت والأرض وما وعت، ودعا إلى السير والنظر والتأمل والفكر لينتقل الإنسان من المشهود إلى المفقود وليقيس ما لم يعرف على ما عرف، فقدّر العقل، واحترم الاختلاف، واعترف بمنازع البشر وثقافتهم وأثرها فيهم؛ ولذا أخذهم إلى مساحته رويدا رويدا، حتى أقروا بسلطانه وخضعوا لبرهانه، وسلموا له تسليم المقر الواثق والمحب الوامق.

أهم ملامح تلك المنهجية:

وبعد هذه التطوافة السريعة يمكننا أن نرصد ملامح المنهجية القرآنية في التعامل مع الآخر في النقاط الآتية؟

١- الاعتراف بوجود الآخر بغض النظر عن الموقع أو الموقف.

بدا هذا الاعتراف في حديثه عن أديانهم وأعرافهم وتقاليدهم حديث الانفتاح لا الانغلاق؛ فسمى سلوكهم الخاطيء في العبادة دينا، فقال تعالى: ﴿قُلْ يَتَّيْبُهَا الْكٰفِرُونَ ١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عٰبِدُ مَا عٰبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينٌ ﴿٦﴾، [سورة الكافرون].

ومن ملامح هذا التعامل أنه في الوقت الذي خاطبهم فيه بكل وضوح وصراحة بأنهم (كافرون) وأن رسوله ﷺ لا يعبد ما يعبدون في الوقت ذاته قال لهم: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينٌ﴾ ﴿٦﴾.

يقول صاحب التحرير والتنوير: (تذييل وفذلكة للكلام السابق بما فيه من التأكيدات، وقد أرسل هذا الكلام إرسال المثل وهو أجمع وأوجز من قول قيس بن الخطيم:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف

...وقدم في كلتا الجملتين المسند على المسند إليه ليفيد قصر المسند إليه على المسند، أي دينكم مقصور على الكون بأنه لكم لا يتجاوزكم إلى الكون لي، وديني مقصور على الكون بأنه لا يتجاوزني إلى كونه لكم، أي لأنهم محقق عدم إسلامهم. فالقصر قصر أفراد، واللام في الموضعين لشبه الملك وهو الاختصاص أو الاستحقاق.

والدين: العقيدة والملة، وهو معلومات وعقائد يعتقدها المرء فتجري أعماله على مقتضاها، فلذلك سمي دينا لأن أصل معنى الدين المعاملة والجزاء.<sup>(١)</sup>

## ٢- الحرص على التعامل مع الآخر

ومن حرص القرآن الكريم على التعامل مع الآخر أن عرض عليه قضاياها عرضاً لاثقاً بالقبول من خلال الحديث عن المسلمات البديهية، والأدلة الإقناعية حتى في أدق المسائل، وأعظم القضايا وأخطرها، مثل قضايا العقيدة والألوهية فنراه مثلاً يبرهن له في قضايا العقيدة بقوله: ﴿

(١) التحرير والتنوير (٣٠) / ٥٨٤.



لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءِالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءِالِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾، [الأنبياء: ٢٢-٢٤].

يقول تعالى: بل ﴿اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءِالِهَةً قُلْ﴾ يا محمد: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ أي: دليلكم على ما تقولون، ﴿هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ﴾ يعني: القرآن، ﴿وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي﴾ يعني: الكتب المتقدمة على خلاف ما تقولون وتزعمون، فكل كتاب أنزل على كل نبي أرسل، ناطق بأنه لا إله إلا الله، ولكن أنتم أيها المشركون لا تعلمون الحق، فأنتم معرضون عنه؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾، كما قال: ﴿وَسَأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ ءِالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥] (١)

والإشارة في قوله تعالى هذا ذكر من معي إلى مقدر في الذهن يفسره الخبر.

والمقصود من الإشارة تمييزه وإعلانه بحيث لا يستطيع المخاطب المغالطة فيه ولا في مضمونه، كقوله تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ في سورة لقمان [١١]، أي أن كتب الذكر

(١) تفسير ابن كثير: (٥/ ٣٣٧).

أي الكتب الدينية في تناول الناس فانظروا هل تجدون في أحد منها أن  
 لله شركاء وأن الله آذنا باتخاذهم آلهة. (١)

وفي الدلالة على البعث والنشور يبرهن بصورة منطقية بسيطة: ﴿يَوْمَ  
 نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ يُعِيدُهُ  
 وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَعْلِيلِينَ﴾، [الأنبياء: ١٠٤].

والمعنى: نعيد أول الخلق كما بدأناه، تشبيها للإعادة بالإبداء في تناول  
 القدرة لهما على السواء (٢)

وإنما هو تشبيه الخلق الثاني بالخلق الأول لدفع استبعاد البعث،  
 كقوله تعالى: ﴿أَفَعَبِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق:  
 ١٥] وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] ،  
 فذلك مورد التشبيه، غير أن التشبيه لما كان صالحا  
 للحمل على تمام المشابهة أعلمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن ذلك  
 مراد منه (٣)

### ٣- البحث عن القواسم المشتركة

وفي سبيل هذا دعا عباده المؤمنين إلى لفت أنظار أهل الكتاب إلى  
 أن إله الجميع واحد، وهو الذي أنزل الكتب، وأرسل الرسل مبشرين

(١) التحرير والتنوير (١٧/ ٤٧).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ١٣٧).

(٣) التحرير والتنوير (١/ ٩٥).

ومنذرين، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ  
إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ  
وَاللَّهُنَّ وَاللَّهُمُّ وَحْدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ  
الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَانَيْتَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ  
وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾﴾، [العنكبوت: ٤٧].

وأمثال هذه الآيات كثير جدا، وهي تصرح بأن إله المسلمين وأهل  
الكتاب واحد، وربهم واحد، والذي أنزل عليهم هو شيء واحد؛ أي:  
في جوهره، والمراد منه وهو الإيذان بالله وتوحيده والبعث والعمل<sup>(١)</sup>.

وإذن فلا حاجة إلى الشقاق والنزاع، والجدل والنقاش. وكلهم  
يؤمنون بإله واحد، والمسلمون يؤمنون بما أنزل إليهم وما أنزل إلى من  
قبلهم، وهو في صميمه واحد، والمنهج الإلهي متصل الحلقات.

«وكذلك أنزلنا إليك الكتاب. فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به،  
ومن هؤلاء من يؤمن به، وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون» كذلك .  
على النهج الواحد المتصل. وعلى السنة الواحدة التي لا تتبدل. وعلى  
الطريقة التي يوحى بها<sup>(٢)</sup>.

ووجه الوصاية بالحسنى في مجادلة أهل الكتاب أن أهل الكتاب  
مؤمنون بالله غير مشركين به فهم متأهلون لقبول الحججة غير مظنون

(١) تفسير المنار (٢/ ٢٨٢).

(٢) في ظلال القرآن (٥/ ٢٧٤٥).

بهم المكابرة ولأن آداب دينهم وكتابهم أكسبتهم معرفة طريق المجادلة فينبغي الاقتصار في مجادلتهم على بيان الحجة دون إغلاظ حذرا من تنفيرهم، بخلاف المشركين فقد ظهر من تصلبهم وصلفهم وجلافتهم ما يأس من إقناعهم بالحجة النظرية وعين أن يعاملوا بالغلظة وأن يبالغ في تهجين دينهم وتفضيع طريقتهم لأن ذلك أقرب نجوعا لهم.<sup>(١)</sup>

#### ٤- تبيين الجوانب الإيجابية وتعظيمها والعمل على استشارها

ومن منهجيات القرآن الكريم في التعامل مع الآخر أنه سعى إلى تبيين وتعظيم الجوانب الإيجابية، وحرص على استشارها وإبرازها.

قال تعالى: ﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَآبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَآبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَآأَنْتُمْ هَٰؤُلَآءِ حَآجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِۦ عِلْمٌ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِإِبْرَهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾

هذا الخطاب يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومن جرى مجراهم ﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَآبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ﴾ والكلمة تطلق على

(١) التحرير والتنوير (٢١) / ٦.

الجملة المفيدة كما قال هاهنا. ثم وصفها بقوله: ﴿سَوَاءٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ أي: عدل ونصف، نستوي نحن وأنتم فيها. ثم فسرها بقوله: ﴿أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا﴾ لا وثنا، ولا صنما، ولا صليبا ولا طاغوتا، ولا نارا، ولا شيئا، بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له. وهذه دعوة جميع الرسل، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. [وقال تعالى] (٢) ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْبِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]

...﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ أي: فإن تولوا عن هذا النصف وهذه الدعوة فأشهدوهم أنتم على استمراركم على الإسلام الذي شرعه الله لكم.<sup>(١)</sup>

والحجة: الدليل الذي يدل المسوق إليه على صدق دعوى القائم به وإنما تكون الحجة بين مختلفين في دعوى. ونفي الحجة نفي جنس يجوز أن يكون كناية عن نفي المجادلة التي من شأنها وقوع الاحتجاج كناية عن عدم التصدي لخصومتهم فيكون المعنى الإمساك عن مجادلتهم لأن الحق ظهر وهم مكابرون فيه وهذا تعريض بأن الجدال معهم ليس بذي جدوى.<sup>(٢)</sup>

(١) تفسير ابن كثير: (٢/ ٥٥).

(٢) التحرير والتنوير (٢٥/ ٦٣).

## ٥- التغاضي عن مواطن النزاع وعدم الوقوف عندها.

وهنا يتغاضى القرآن الكريم في منهجيته في التعامل مع الآخر عن مواطن النزاع ولا يصدرها، ولا يبدأ بها، بل يبني على الثابت ويتجاوز نقاط الخلاف كسبا منه للمسلم والبدهي، وتعلية لقيم الإنسانية، ولذا حُبب القرآن الإنسان في أن يؤسس الأخلاق الإنسانية العامة والتي يسميها الأستاذ المودودي بالأخلاق الأساسية، وهي ما يتفق عليه كل بني البشر، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، [الأنعام: ١٠٨، ١٠٩].

وهنا يقول الإمام الزمخشري بيانا للحكمة في النهي عن السب: فإن قلت: سب الآلهة حق وطاعة، فكيف صحَّ النهي عنه، وإنما يصح النهي عن المعاصي؟ قلت: ربَّ طاعة علم أنها تكون مفسدة فتخرج عن أن تكون طاعة، فيجب النهي عنها لأنها معصية، لا لأنها طاعة كالنهي عن المنكر هو من أجل الطاعات، فإذا علم أنه يؤدي إلى زيادة الشر انقلب معصية، ووجب النهي عن ذلك النهي. كما يجب النهي عن المنكر. فإن قلت: فقد روى عن الحسن وابن سيرين أنها حضرا جنازة فرأى محمد نساء فرجع، فقال الحسن: لو تركنا الطاعة لأجل المعصية لأسرع ذلك

في ديننا. قلت: ليس هذا ممن نحن بصدده، لأنّ حضور الرجال الجنازة طاعة وليس بسبب لحضور النساء فإنهن يحضرنها حضر الرجال أو لم يحضروا، بخلاف سب الآلهة<sup>(١)</sup>.

إن الطبيعة التي خلق الله الناس بها، أن كل من عمل عملاً، فإنه يستحسنه، ويدافع عنه! فإن كان يعمل الصالحات استحسنتها ودافع عنها. وإن كان يعمل السيئات استحسنتها ودافع عنها. وإن كان على الهدى رآه حسناً، وإن كان على الضلال رآه حسناً كذلك! فهذه طبيعة في الإنسان.. وهؤلاء يدعون من دون الله شركاء.. مع علمهم وتسليمهم بأن الله هو الخالق الرازق.. ولكن إذا سب المسلمون آلهتهم هؤلاء اندفعوا وعدوا عما يعتقدونه من ألوهية الله، دفاعاً عما زين لهم من عبادتهم وتصوراتهم وأوضاعهم وتقاليدهم!..

فليدعهم المؤمنون لما هم فيه: «ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون»..

وهو أدب يليق بالمؤمن، المطمئن لدينه، الواثق من الحق الذي هو عليه. الهادئ القلب، الذي لا يدخل فيما لا طائل وراءه من الأمور. فإن سب آلهتهم لا يؤدي بهم إلى الهدى ولا يزيدهم إلا عناداً. فما للمؤمنين وهذا الذي لا جدوى وراءه. وإنما قد يجرحهم إلى سماع ما يكرهون. من سب المشركين لربهم الجليل العظيم؟! وأخيراً يختم هذا الدرس، الذي

(١) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (٢) / ٥٦

استعرض فيه صفحة الوجود الحافلة بالآيات والخوارق، في كل لحظة من ليل أو نهار..<sup>(١)</sup>.

٦- التفريق بين المتعصب والمسلم وعدم التعميم في الحكم بين الصنفين.

ومن منهجيات القرآن الكريم الثابتة والمطردة أنه يفرق في الحكم بين المتعصب والمسلم فأعطى للمسلم حقوق المستأمن، وجعل خفر ذمته خيانة لله والرسول، وبذا يستطيع المجتمع الإنساني أن يتعايش ويتحابب، بغض النظر عن معتقده ودينه، ففرق القرآن الكريم حتى بين أصحاب الديانة الواحدة في النظرة والتعامل فقال تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّةِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾، [آل عمران: ٧٥، ٧٦].

والقرآن لم يحكم على أمة بالضلال والفسق بنص عام يستغرق جميع الأفراد، بل يعبر تارة بالكثير وتارة بالأكثر، وإذا أطلق أداة العموم يستثني بمثل قوله في بني إسرائيل: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [٢: ٨٣] وقوله فيهم: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤﴾﴾ [١٥٥] أو يحكم

(١) في ظلال القرآن (٢/ ١١٦٩)



على البعض ابتداء كما تقدم في قوله: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِيَدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ﴾ [٣: ٧٥] الآية. وقال - تعالى - فيهم: ﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُّوسَىٰ أُمَّةٌ يَهُودُوكَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدُلُونَ﴾ [٧: ١٥٩] وقال فيهم وفي النصارى: ﴿مَنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [٥: ٦٦]<sup>(١)</sup>.

وفي هذا الموضوع يبين طبيعة نظرة الإسلام الأخلاقية ومبعثها وارتباطها بتقوى الله: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (٧٦) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

#### ٧- إقرار معيار ثابت في التعامل بغض النظر عن الأشخاص

وبدا هذا واضحا في تركيز القرآن الكريم على ميزان ثابت لا يتغير بتغير الأشخاص ولا يتباين بتنوع الناس بل يقاس عليه كل وارد، فلا فرق في النظرة القرآنية بين المسلم والنصراني واليهودي والمشرک والصابئ في التعامل، إذا حقق الجميع ثوابت الإيمان، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصْرِيَّةَ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (١٧)، الحج: ١٧.

(١) تفسير المنار: (٤ / ٥٤).

(٢) في ظلال القرآن (١ / ٤١٠).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٩)، [المائدة: ٦٩].

والمقصود: أن كل فرقة آمنت بالله وباليوم الآخر، وهو المعاد والجزاء يوم الدين، وعملت عملا صالحا، ولا يكون ذلك كذلك حتى يكون موافقا للشريعة المحمدية بعد إرسال صاحبها المبعوث إلى جميع الثقليين فمن اتصف بذلك ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يستقبلونه ولا على ما تركوا وراء ظهورهم ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ومعنى من آمن بالله واليوم الآخر من آمن ودام، وهم الذين لم يغيروا أديانهم بالإشراك وإنكار البعث فإن كثيرا من اليهود خلطوا أمور الشرك بأديانهم وعبدوا الآلهة كما تقول التوراة. ومنهم من جعل عزيزا ابنا لله، وإن النصرارى أهوا عيسى وعبدوه، والصابئة عبدوا الكواكب بعد أن كانوا على دين له كتاب. ... ثم إن اليهود والنصارى قد أحدثوا في عقيدتهم من الغرور في نجاتهم من عذاب الآخرة بقولهم: ﴿مَنْ أَبْتَدَأْهُهُ ٱللَّهُ وَأَحْبَبْتُهٗ﴾ [المائدة: ١٨] وقولهم ﴿لَنْ تَمَسَّنَا ٱلنَّكَارُ إِلَّا أُنْيَامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠]، وقول النصرارى: إن عيسى قد كفر خطايا البشر بما تحمله من عذاب الطعن والإهانة والصلب والقتل، فصاروا

(١) تفسير ابن كثير: (٣/ ١٥٦).

بمنزلة من لا يؤمن باليوم الآخر، لأنهم عطلوا الجزاء وهو الحكمة التي قدر البعث لتحقيقها<sup>(١)</sup>.

والآية تقرر أنه أيا كانت النحلة، فإن من آمنوا بالله واليوم الآخر وعملوا صالحا- ومفهوم ضمنا في هذا الموضع، وتصريحا في مواضع أخرى أنهم فعلوا ذلك على حسب ما جاء به الرسول الأخير- فقد نجوا: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ .. ولا عليهم مما كانوا فيه قبل ذلك ولا مما يحملون من أسماء وعنوانات.. فالهمم هو العنوان الأخير..

وهذا الذي نقرر أنه مفهوم من الآية ضمنا يعتبر من «المعلوم من الدين بالضرورة». فمن بديهيات هذه العقيدة، أن محمدا ﷺ هو خاتم النبيين، وأنه أرسل إلى البشر كافة، وأن الناس جميعا- على اختلاف مللهم ونحلهم وأديانهم واعتقاداتهم وأجناسهم وأوطانهم- مدعوون إلى الإيمان بما جاء به، وفق ما جاء به في عمومته وفي تفصيلاته. وأن من لا يؤمن به رسولا، ولا يؤمن بما جاء به إجمالا وتفصيلا، فهو ضال لا يقبل الله منه ما كان عليه من دين قبل هذا الدين، ولا يدخل في مضمون قوله تعالى: «فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون»<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) التحرير والتنوير: (٦) / ٢٧٠.

(٢) في ظلال القرآن (٢) / ٩٤٢.

## المبحث الثاني

### أثر منهجية القرآن الكريم في التعامل مع الآخر علم

#### الشهود الحضاري

يبدو أثر منهجية القرآن الكريم في التعامل مع الآخر في أمور ينبغي الوقوف عندها، وعدم تجاوزها، لنتقل بها من الوعي إلى السعي ومن التوصيف إلى التوظيف ومن الإدراك إلى الحراك، ومن العلم إلى العمل، ومن الفهم إلى التسخير، ومن أهم هذه الأمور ما يأتي:

#### ١ - الإفادة من موقف المخالف وعدم إهداره

فعندما يلتقي القرآن الكريم في منهجيته الثابتة مع مساحة مشتركة مع المخالف يستطيع أن يحافظ على المتاح والمباح، ويجعل الكل عوناً على بناء الحضارة الإنسانية، التي هو والخصم فيها شركاء في البناء والنماء.

وقد عرفنا كيف تعامل النبي ﷺ وهو المبين لأحكام القرآن ومنهجيته - كيف تعامل مع حلف الفضول؛ إذ يقول فيما خرجته البيهقي: «عن طلحة بن عبد الله بن عوف، أن رسول الله ﷺ قال: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت» قال القتيبي فيما بلغني عنه: وكان سبب الحلف أن قريشاً كانت تتظالم بالحرم، فقام عبد الله بن جدعان والزبير بن عبد المطلب فدعاهم إلى التحالف على التناصر، والأخذ للمظلوم من الظالم، فأجابها بنو هاشم وبعض القبائل من قريش. قال الشيخ: قد

سأهم ابن إسحاق بن يسار قال: بنو هاشم بن عبد مناف، وبنو المطلب بن عبد مناف، وبنو أسد بن عبد العزى بن قصي، وبنو زهرة بن كلاب، وبنو تيم بن مرة. قال القتيبي: فتحالفوا في دار عبد الله بن جدعان، فسموا ذلك الحلف حلف الفضول تشبيها له بحلف كان بمكة أيام جرهم على التناصف والأخذ للضعيف من القوي، وللغريب من القاطن، قام به رجال من جرهم يقال لهم: الفضل بن الحارث، والفضل بن وداعة، والفضل بن فضالة، ف قيل حلف الفضول جمعا لأسماء هؤلاء.<sup>(١)</sup>

وفي رواية: (ولو دعيت به في الإسلام لأجبت، وما أحب أن أخيس به وإن لي حمر النعم)<sup>(٢)</sup>

فعمل ﷺ على الإفادة من مساحة الخير الموجودة في فطر الناس واغتنمها.

## ٢- البناء على القواسم المشتركة بين البشر

وهذا من غير شك يجعل الآخر يقبلك، أو على أقل احتمال يسمع إليك، وينظر إلى قضيتك ورسالتك، وليس عند المسلم ما يخاف عليه أو يستحي من عرضه،

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»<sup>(٣)</sup>.

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٦ / ٥٩٦).

(٢) شرح مشكل الآثار (١٥ / ٢٢١).

(٣) مسند أحمد ط الرسالة (١٤ / ٥١٣).

٣- ضمان قدر من الحرية للمؤمن يستطيع من خلالها عرض فكرته

ورسالته

وهذا لا يتأتى إلا بالسلم الاجتماعي الذي يأمن كل إنسان فيه على حياته وحرية، والمسلم في هذا الموقف هو الراجح؛ لأنه لا يحتاج إلا إلى مساحة من الحرية ليعرض رسالته ويبين دعوته، فعن جابر بن عبد الله قال: «كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموسم»، فقال: «ألا رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي عز وجل» وروينا، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، أنه لما قرأ سورة الروم على مشركي مكة فقالوا: هذا ما أتى به صاحبك. قال: «لا، ولكنه كلام الله عز وجل» وقوله: وفي رواية أخرى: «ليس بكلامي، ولا كلام صاحبي، ولكنه كلام الله عز وجل» إتاحة الفرصة كاملة للتعرف على مضامين القرآن الكريم ورسالته<sup>(١)</sup>.

عن جابر بن عبد الله، قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف، فقال: «ألا رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي عز وجل»<sup>(٢)</sup>.

(١) شعب الإيمان / ١ / ٣٣١.

(٢) سنن أبي داود الأرنبوط: ٧ / ١١٥.

٤ - التعرف على رسالة القرآن من خلال مقولاته لا من خلال ما ينقل عنه.

ومن هنا دعا القرآن الكريم الناس كل الناس إلى التفكير والنظر والتدبر في آيه ومضامينه؛ فقال: ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مَعَشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَجْهِ اللَّهِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَى خِزْفٍ فَذَرُونَهُ لِي وَذَرْهُ لِمَنِ أَنْهَىٰ عَمَلَهُمْ وَنَأْوَىٰ صُلْبَهُ لِي وَنَسَىٰ مَا كَفَرَ لِي وَخِزْيَانَهُ لِي خَبِيرٌ﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ ﴿٤٦﴾

إنها دعوة إلى القيام لله. بعيدا عن الهوى. بعيدا عن المصلحة. بعيدا عن ملابسات الأرض. بعيدا عن الهواتف والدوافع التي تشتجر في القلب، فتبعد به عن الله. بعيدا عن التأثير بالتيارات السائدة في البيئة. والمؤثرات الشائعة في الجماعة.

دعوة إلى التعامل مع الواقع البسيط، لا مع القضايا والدعاوى الرائجة ولا مع العبارات المطاطة، التي تبعد القلب والعقل من مواجهة الحقيقة في بساطتها.

دعوة إلى منطق الفطرة الهادئ الصافي، بعيدا عن الضجيج والخلط واللبس والرؤية المضطربة والغبش الذي يجب صفاء الحقيقة.

وهي في الوقت ذاته منهج في البحث عن الحقيقة. منهج بسيط يعتمد على التجرد من الرواسب والغواشي والمؤثرات. وعلى مراقبة الله وتقواه.

وهي «بواحدة» .. إن تحققت صح المنهج واستقام الطريق. القيام لله.. لا لغرض ولا لهوى ولا لمصلحة ولا لنتيجة.. التجرد.. الخلوص.. ثم التفكير والتدبر بلا مؤثر خارج عن الواقع الذي يواجهه القائمون لله المتجردون.

«أن تقوموا لله. مثني وفرادى» .. مثني ليراجع أحدهما الآخر، ويأخذ معه ويعطي في غير تأثير بعقلية الجماهير التي تتبع الانفعال الطارئ، ولا تتلبث لتتبع الحجة في هدوء.. وفرادى مع النفس وجها لوجه في تمحيص هادئ عميق.

«ثم تفكروا. ما بصاحبكم من جنة» .. فما عرفتم عنه إلا العقل والتدبر والرزانة. وما يقول شيئا يدعو إلى التظن بعقله ورشده. إن هو إلا القول المحكم القوي المبين<sup>(١)</sup>.

وفي هذا كله من الخير للمسلم والأمة ما فيه.

\*\*\*

(١) في ظلال القرآن (٥ / ٢٩١٤)



## الخاتمة؛

أسأل الله حسنها،،،

أما بعد،،،

فقد بان من خلال هذا الجهد المتواضع عدد من النقاط والنتائج يمكن أن نجملها فيما يأتي:

- أن للقرآن منهجية ثابتة في التعامل مع الآخر، وأن لهذه المنهجية ملامح واضحة ومعالم ثابتة.
- أن هذه المنهجية مبنية على التتبع والرصد والاطراد والرقب لآيات القرآن الكريم ومواقفه.
- أن الوعي بهذه المنهجية يتيح للمسلم إحسان التعامل مع الآخر على بينة ومن خلال موقف شرعي أسسه القرآن وسعى إلى ترسيخه.
- أن هذه المنهجية سعت إلى تفعيل الجانب الإنساني وإعمال القواسم البشرية المشتركة.
- أن العمل على منهجية القرآن الكريم يتيح للمسلم فرصا واسعة في عرض رسالته وبيان فكرته ودعوته.
- أنها أفادت من المساحات المتاحة في السلوك البشري والإنساني.

- أنها قابلة للتفعيل والتنزيل، وإعادة العمل خاصة في ظرفنا الراهن الذي تعيشه الأمة المسلمة.
- أنها منهجية تتأزر مع الجانب الإنساني وتتلاقى مع طبيعة القرآن الكريم ومقاصده الكبرى.

\*\*\*

## فهرس المصادر والمراجع

- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، رشيد رضا (ت: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون طبعة، (١٩٩٠م).
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط/ ٢، (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).
- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قره بللي، ط/ ١، (١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).
- السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان
- شرح مشكل الآثار، المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط
- في ظلال القرآن، الشهيد سيد قطب (١٣٨٧هـ)، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط/ ٣٢، (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م).

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط/٣، (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م). التحرير والتنوير، ابن عاشور(ت:١٣٩٣هـ)، الدار التونسية، بدون طبعة، (١٩٨٤م).
- اللباب في علوم الكتاب أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م
- المدخل إلى التفسير الموضوعي، لأستاذنا د عبد الستار فتح الله سعيد ط: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط: الثانية، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، ص ٦٠، ٥٩. الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م

## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٧	المقدمة .....
١٣	المبحث الأول .....
١٤	بين يدي المنهجية .....
٢١	ملامح المنهجية .....
٣٤	المبحث الثاني .....
٣٩	الخاتمة .....
٤١	فهرس المراجع والمصادر .....
٤٣	فهرس الموضوعات .....

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
لِلشَّيخَيْنِ لِلتَّقَاةِ وَالْعُلُومِ



## هذا الكتاب

جزء من مشروع علمي ولبنة من لبنات بنائه، يبتغي صوغ منظومة قرآنية في زاوية التفسير الموضوعي يسعى إلى رصد ومراكمته بعضها فوق بعض حتى يستطيل هذا الصرح.

وتدور مشكلة الدراسة حول بيان منهجية القرآن الكريم في التعامل مع الآخر، وما يترتب على ذلك من صلاح للبشرية وشهود للأمة المسلمة. والسؤال الأساس لهذه الدراسة هو: هل عني القرآن الكريم بالتعامل مع غير المسلمين في عرض دعوته، أو في العيش الإنساني المشترك؟ وكانت الإجابة:

أن للقرآن منهجية ثابتة في التعامل مع الآخر، بما فيها من ملامح واضحة ومعالم ثابتة، مبنية على التتبع والرصد والاطراد والرقب لأيات القرآن الكريم ومواقفه؛ مما يتيح للمسلم حسن التعامل مع الآخر على بينة ومن خلال موقف شرعي أسسه القرآن وسعى إلى ترسيخه. وهذا بدوره يسعى إلى تفعيل الجانب الإنساني وإعمال القواسم البشرية المشتركة؛ فيعطي المسلم فرصاً واسعة في عرض رسالته وبيان فكرته ودعوته.

وفي هذه المنهجية تتآزر مع الجانب الإنساني وتلاقى مع طبيعة القرآن الكريم ومقاصده الكبرى.



9 789772 789214



01012355714 - 01152806533

darelbasheerealla@gmail.com

elbasheer.marketing@gmail.com

www.darelbasheer.com

دار البشيم  
للتنمية والتطوير